
الامام الباقر عليه السلام
قدوة و اسوة
محمد تقى المدرسى

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام الباقر علیه‌السلام قدوة و أسوة

کاتب:

محمد تقی المدرسی

نشرت فی الطباعة:

محبان الحسین علیه السلام

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الامام الباقر عليه‌السلام، قدوه و اسوه

اشارة

سرشناسه : مدرسی، محمد تقی، ۱۹۴۵- م.

Mudarrisi, Muhammad Taqi

عنوان و نام پدیدآور : الامامالباقر علیه‌السلام قدوه واسوه/ محمدتقی المدرسی.

مشخصات نشر : تهران:محبان الحسین علیه السلام،۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری : ۷۲ ص.؛۱۱×۱۷ س‌م.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۴۲۷-۰۹۱-۸

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ قبلی : مکتب العلامه المدرسی، ۱۴۱۰ق. = ۱۳۶۹.

موضوع : محمدبن علی (ع)، امام پنجم، ۵۷ - ۱۱۴ق.

رده بندی کنگره : BP۴۴/م۴الف۸ ۱۳۸۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۵۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۹۱۲۲۱

تمهيد

الحمـد لله رب العالمين –وصلى الله على سيدنا محمـد وآله الطاهرين –. فى فاتحـة الحديث عن الإمام الباقر (ع) ينبغى أن نشـير إلى نهجين متنـافرين فى تقييم حيـاة الأئمـة والنهـج القـديم بينهمـا. فهناك فريق يقيّمون حياة المعصومين عليهم السـلام بمقياس السـياسة. ومـدى دورهم فيهـا. ويكـاد تفسيرهم لعبـادات الأئمـة، وعلومهم، وأخلاقهم يكون أيضاً بمنظار سياسـى. بينما تجـد أغلب المؤرخين لحياتهم عليهم السـلام يختصـرون حياتهم فى حدود فردية ضـيقة، حتى يفصـلونها من السـياق الزمنى لها. وبين المنهجين حالة وسطى تجعـل حيـاتهم ذات إشـعاع فردى يتجـاوز حـدود الزمـان والمكـان.. وذات أفق سياسـى يتفاعل مع الظرف التاريخى الخاص به.. بلى. الأئمة هم قدوات البشـر، ونسبـة رجال السـياسة إلى سائر الناس نسبة ضئيلة، فلم يكن من المناسب أن يكون كل قدوات البشر فى قمة السـلطة حـتى يكـون سـلوكهم منـاراً لأمثـالهم من أصـحاب السـلطة فقـط، بـل كـان من المعقـول أن يكونـوا فى مختلف المستويات الإجتماعيـة حتى تتم حجـة الله على خلقه بأنفـذ مـا يكون بلاغاً وقوةً! ولو كانوا كلهم فى قمـة السـلطة لقال الناس أن مسـيرتهم تخص أولى السـلطة فحسب فما لنا للدخول فى شأن السـلاطين. على أن بعضهم لايزال يحاول التنصل من اتباع الأنبياء والأوصياء والصالحين، بزعم أنهم ليسوا ببشـر.. وبالتـالى فهو لا‌ـيمكنه أن يتبع هـداهم، أو يقـدر أحـدنا أن يتمثل شخصـيَّة الملائكـة.. إلاّ أن ما نزل بأنبياء الله وأوصـياءهم من الضـنك والأذى. وما تعرضوا له من السـجن والتعـذيب والتهجير والخوف وحتى القتل والأسـر والتشـهير.. كل ذلك دليل كونهم بشراً أمثالنا ميّزوا بالوحى والعزم والإعتصام بحبل الله، وقال ربنا سبحانه: «قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» (الكهف/١١٠) وقال: «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (ابراهيم/١١) ولعل هـذه الحكمـة كانت أيضاً وراء إذن الله سـبحانه بتعرض أوليائه لبعض الأذى، لكى لا يرفعهم الناس إلى مستوى الألوهية فيهلكوا، ولكى يرفع الله به درجاتهم عنده. ولكى لايترك الدينَ البسطاءُ من

الناس فراراً من الأذى. ونحن إذ نشـرع فى الاستضاءة بسيرة الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام، والعلم السابع من قدوات الأئمة المعصومين عليهم السـلام بجوار مقام السـيدة زينب فى الشام. نسأل الله أن يتم نورنا به ويجعلنا من أشد تابعيه تمسّكاً وأحسنهم عاقبة.. إنه ولى التوفيق..

الميلاد الميمون

اشاره

ولـد الإمام الباقر (ع) من والدين علويين هما الإمام السـجاد (ع)، وأم عبد الله بنت الإمام الحسن المجتبى (ع)، وكانت ولادته قبل أربع سنوات من واقعـة الطف الرهيبة. أى فى عام ۵۷ من الهجرة. وكان ذلك الثالث من صـفر أو العاشر فى رجب، (فى ذلك اختلاف بين الرواة). ولم يكن أكبر أبناء أبيه سـنّاً، إلاّ أنه كان أولاهم بالإمامـة فنصـبّه والده لها اتباعا لأمر رسول الله (ص). وقد سأل الزهرى والده الإمام السـجاد عن ذلك وقال: يا ابن رسول الله هلا أوصيت إلى أكبر أولادك؟ قال: يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالصغر والكبر، هكذا عهد إلينا رسول الله، وهكذا وجدنا مكتوباً فى اللَّوح والصحيفة [۱] . وكانت أمّه - حسبما قال: الإمام الصادق (ع) - صديقة لم يدرك فى آل الحسن مثلها [۲] .

النشأة الطيبة

عاش فى ظل جده السـبط الشـهيد عليه السـلام أربع سـنوات، وصـبغت شخصيته الفذة بتلك الصبغة الإلهية التى تجلت فى حياة السبط الشهيد، ولا ريب أن مأساة كربلاء الفجيعة تركت طابعها على نفسية الإمام الباقر (ع) الذى رافق صورها وشاهدها لحظة بلحظة.. لأنه - حسب بعض الرواة - كان ممن حضـرها مع سائر ابناء الأسـرة الهاشـمية. وبعد تلك الفاجعة عاش الإمام (۱۹) سنة و(۶۰) يوماً فى ظل والده سيد الساجدين [۳] ، حيث كانت حياته الكريمة مثلاً أعلى للصـبغة الربانية، وظل شـعاع تلك الحياة يضـىء درب السالكين إلى الله.. حتى اليوم. ومنـذ باكورة حياته المباركـة تجلت فيه ملامـح الإمامـة. وقـد جاء فى الحديث المأثور عن أبى الزبير محمد بن مسـلم المكى قـال: كنـا عنـد جـابر بن عبـد الله فأتاه على بن الحسـين ومعه ابنه محمـد وهو صبى، فضـمه جابر إليه فقال على لابنه: قبّل رأس عمك فـدنا محمـد من جابر فقبل رأسه، فقال جابر: من هـذا؟وكان قـد كفّ بصـره - فقال له على: هـذا ابنى محمـد فضـمه جابر إليه وقـال: يا محمـد! محمـد رسول الله (ص) يقرأ عليك السـلام، فقالوا لجابر: كيف ذلك يا ابا عبـد الله؟ فقال: كنت مع رسول الله (ص) والحسـين فى حجره وهو يلاعبه، فقـال: يـا جـابر يولـد لابنى الحسـين ابن يقال له على إذا كان - يوم القيامـة - نادى مناد ليقم سـيد العابدين، فيقوم على بن الحسـين، ويولد لعلى ابن يقال له محمد، يا جابر إن رأيته فاقرأه منى السلام واعلم أن بقاءك بعد رؤيته يسير. فلم يعش (جابر) بعد ذلك إلاّ قليلاً ومات [۴] وبعد والده اضطلع بمقام الإمامة العامة.

الإمامة وعلم الأنبياء

عندما آلت شـمس بنى أمية إلى المغيب وضعفت سلطتهم بفعل الثورات الرسالية المتلاحقة.. وجد الإمام الباقر (ع) فرصة لنشر معارف القرآن التى كـانت مستوعبة فى الصـحيفة التى توارثهـا أهل البيت (ع) من رسول الله.. فى ذلك اليوم كان المجتمع الإسـلامى بحاجة إلى معارف القرآن، إنه قد اتسع فى كل أفق وأصـبح خيمة تشـمل شـعوباً مختلفة وبقايا حضارات، فعلى أى أساس نقيم هذا المجتمع الجديد.. وماهى قِيَمه التوحيدية وأطر الثقافة العامة وروح قوانينه فى مختلف الحقول.. بالأمس نشر الإمام السجاد (ع) راية التوحيد عبر أدعيته وابتهالاته. وصـنع بها حياة المجتمع المسـلم وبالـذات المجتمع الرسالى التابع لخط أهل البيت عليهم السـلام. أما اليوم فإن تلك

القاعـدة التوحيديـة الرصـينة قد رست، ويأتى الإمام الباقر (ع) ليبنى عليها صـرح المعارف. ويكمله الإمام الصادق (ع) ببيان المزيد من التفاصـيل فى الحكمة الإلهية والتفسـير والفقه.. ماهى المعارف التى نشـرها الإمام الباقر (ع) وكيف اسـتطاع إليها سبيلاً؟ قد يسلك فى طريق العلم من التجارب الجزئية صعوداً إلى القواعد العامة. وقد ننطلق من تلك القواعد إلى المفردات الجزئية. وبينما السبيل الأول هو منهـج عموم النـاس فى بلوغ العلم، فـإن المنهـج الثـانى هو سبيل علم الأنبياء وأوصـيائهم المتصـلين بالوحى، ومن هنا جاء فى الحكمة المـأثورة: العلم نقطـة كثَّرها الجاهلون. والأساس الظاهر لعلم الرسول وخلفائه المعصومين عليهم السـلام، هو القرآن المفسـر بالحـديث النبوى، ولكن الأساس الحقيقى هو نور العقل الذى يتوهج بالإيمان والإلهام فى افئدة العارفين بالله.. ذلك العقل الذى أوتى الناس منه قـدر ضـئيل وأكمله الله لنبيّه وأوصـياء نبيّه. وإن توهـج نور العقـل عنـد أبنـاء البشـر. وتجليه فى تلك المعارف الأوليـة التى يعرفها كل شخص، وفى تلـك القيم التى يتحـاكم النـاس إليهـا فيمـا بينهم. وفى تلـك الإضـاءات التى نجـدها عنـد طائفـة من الناس دون غيرهم تجعلهم نوابغ وعظماء كبار.. كل ذلك يهـدينا إلى معنى العلم الكونى الذى يلقيه ربنا فى روع الصـفوة من أوليائه.. وجاء فى الحديث الشـريف: " العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء ". وترى بعض الناس يتشكك فى مثل هذا العلم عند الأنبياء والأئمة، والمحدثين من فقهـاء الأمـة.. يستشـهد بقول الله سـبحانه: «وَعِنـدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَيَعْلَمُهَآ إلاَّ هُوَ» (الانعام/۵۹) وقـوله: «قُـل لاَّـ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَـاوَاتِ وَالاَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ الله» (النمل/۶۵) حقّاً إذا كـان مراد هؤلاء أن الإنسـان لاـيعلم الغيب بصـفة ذاتيـة، فإنه حق لاريب فيه، ولكن: إذا أرادوا أنَّ الله لايقدر على تعليم الغيب لبعضهم، نقول: بلى هو قادر، أليس كلنا يعرف قدراً من العلم بالمستقبل، فمثلاً أولسنا نعرف أننا نمـوت وأن الساعـة آتيـة لاـريب فيهـا. وان الله يبعث من فى القبـور. وأن الشـمس تشـرق غـداً وهى لابـدّ غاربـة اليـوم؟ وعشـرات من المعـارف المسـتقبلية التى تشـكل أكثر من نصف معلوماتنـا وهى أساس العلم، والهـدف الأساسـى منه؟ والله سـبحانه علّم الإنسان مالا يعلم، والوحى جزء من علم الغيب الـذى علّمه ربنا لمن ارتضاه من عباده.. وقـد قال ربنا سـبحانه: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْـلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً» (الجن/۲۶-۲۷). وقـال: «وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ الله يَجْتَبِى مِن رُسُـلِهِ مَن يَشَـآءُ فَـامِنُوا بِـالله وَرَسُولِهِ وإن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (آل عمران/۱۷۹) وقـال: «ذَلِـكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» (آل عمران/۴۴) وأخيراً: إن هؤلاء شككوا فى " مدى " علم الأنبياء والأوصـياء، إنهم لم يستوعبوا كيف يمكن لبشر محدود أن يبلغ علم الحقائق من لدن رب العزة، فهم ينطلقون فى تكـذيب هـذا " المـدى " من العلم من ذات المنطلق الـذى كذب الأولون بالنبوة، وهو الجهل بالمقام الذى جعل للإنسان الـذى يتوجه إلى الله ويخلص له وجهه، بيـد أن هؤلاـء " اضـطروا " إلى الإعـتراف بـالنبوة، ولمـا يعرفوا أبعادها فقلصوها إلى أقل قـدر ممكن، وحـاولوا الكفر بمعاجز الأنبياء وبمقاماتهم الرفيعـة أنى اسـتطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وإذ أعجزتهم الحيلـة فى ذلك عمـدوا إلى الأوصـياء فنفوا كرامتهم على الله، وإمكانية تلقيهم العلم من مصدر الغيب إلهاماً، وإذا أنصـفوا أنفسـهم وأنصـفوا للحق لما وجدوا مانعاً عقلياً من الإعتراف بذلك، بعد أن توافرت أدلة بالغة القوة تهديهم إليه من خلال دراستهم لكلماتهم من دون تعصب أعمى أو أحكام مسبقة. وقـد ابتلى الإمـام البـاقر (ع)، شأنه شأن سائر الأئمـة عليهم السـلام بنمطين متنافرين من الناس، فبينما زعم بعضـهم أنه ليس من البشـر وبذلك مرق من الدين بسـبب غلوه، نجد كثيراً من الناس لم يعترفوا بمقامه الكريم. من النمط الأول كان المغيرة بن سعيد الذى غلا فى الدين وكذب على الإمام الباقر (ع)، حتى قال عنه الإمام لبعض أصـحابه (سـليمان اللّبان): أتدرى ما مثل المغيرة بن سعيد: قال قلت: لاـ قـال: مثله مثـل بلعم الـذى أوتى الاـسم الأـعظم الـذى قـال الله «ءَاتَيْنَـاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَـلَخَ مِنْهَا فَاَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ». (الاعراف/۱۷۵) [۵] . أمـا النمـط الثانى فهم أغلب الـذين لم يحتملوا علم الإمام ومعرفته بما لا يعرفون، وكرامته على الله، واسـتجابة الله دعـاءه فى الأـمور!! فهؤلاـء لاـينكرون فضائـل أهل البيت عليهم السـلام فقط، بل ويرون أنها من المسـتحيلات، لماذا؟ لأنهم لما يبلغوا معرفـة أنبيـاء الله وأوليـائه عليهم صـلوات الله ومعرفـة كرامتهم على الله. ولـو كـانوا يتفكرون فى خلـق الإنسـان وكيف اسـتخلفه الله فى الأرض، وسـخر له ما فيها بما آتاه من علم وقدرة، لعرفوا أن من حكمة الله سـبحانه أن يفضل بعض الناس على بعض فى العلم، وليهب

لمن أطاعه وأخلص له المزيد من المعرفة سواء عبر الوحى كالرسل أو عبر الإلهام، كما فعل بأوصياء الرسل. ثم إن ما أوحى به الله من الكتاب فيه آفاق من العلم لا يبلغها إلّا من امتحن الله قلبه بالإيمان، لأنه نور الله الذى يشع من مشكاة النبوة. إنه ذكر الله الذى يرتفع من بيوت الأوصياء كما قال سبحانه: «الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ» (النور/۳۵). قال: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله» (النور/۳۶-۳۷). ثم قال: «وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ» (النور/۴۰). هكذا نور الله الذى منح جزءاً بسيطاً منه للإنسان، فإذا به يعرف علما يسخر به كل شيء من حوله، إنه لو سلب منه ترى ماذا يبقى له؟ هل يستطيع آنئذٍ أن يعرف شيئاً. فلو اجتمعت البشرية وحاولوا إعادة مجنون إلى رشده. أو شيخ مخرف إلى سابق علم، أو تعليم هرة دروس الرياضيات، هل استطاعوا إلى ذلك سبيلًا؟ كلا.. فلماذا ينكرون على الله الذى منح البشر هذا النور أن يكون قادراً على مضاعفته لخيرة عباده؟ هكذا نعرف أن الوحى والإلهام هما فى إطار سنن الله فى خلقه، يقبلهما العقل ويطمئن إليهما القلب. وعلم أئمة أهل البيت عليهم السلام لايخرج من دائرة هذه السنن أيضاً، فإما أنَّه مستوحىً من الوحى أو بالإلهام. ويتصل علم الأئمة بالوحى عبر السبل التالية: أولًا: العلم من كتاب الله. بالتدبر فيه وتأويل آياته على الحقائق والوقائع. أليس فى القرآن علم ما كان وما يكون، وفصل ما هو كائن، ومن أولى بكتاب الله ممن أنزل فى بيوتهم وزقوا علمه مع اللبن زقاً. وقد كان الأئمة عليهم السلام شديدى الوله بالقرآن، عظيمى الإحترام له، وكانوا يختمونه فى كل ثلاثة أيام مرة، وربما فى كل يوم، وكانوا يقولون أنهم يستفيدون منه علماً جديداً كلما أعادوا قرائته حتى أنهم استفادوا علم الآفاق من آياته الكريمة، فقد قال الإمام الصادق (ع) – فيما روى عنه –: والله إنى – أعلم ما فى السماوات وأعلم ما فى الأرض وأعلم ما فى الدنيا وأعلم ما فى الآخرة –. فرأى تغير جماعة – فقال وهو يخاطب بكير بن أعين: يا بكير إنى لأعلم ذلك من كتاب الله تعالى إذ يقول: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ» [۶] . ثانيا: أحاديث الرسول (ص) والتى توارثوها من آبائهم عبر جدهم الأعلى الإمام أمير المؤمنين، وجدتهم الطاهرة فاطمة الزهراء عليهم االسلام جميعاً. فقد جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الباقر (ع) أنه قال لجابر بن عبد الله: يا جابر إنّا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنّا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم [۷] . ومعروف أن خزائن علم النبوة كانت قد انتقلت إلى رسول الله. وورثها أهل بيته (ع). ويبدو أنها كانت مكنونة فى جفر عظيم. حيث جاء فى الحديث المروى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: إن عندى الجفر الأبيض. فلما سأله الرواى وأى شيء فيه؟ قال: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى أن فيه الْجُلدة ونصف الْجَلدة وثُلث الْجَلدة وربع الْجَلدة وأَرشُ الخدش، الحديث [۸] . وكان فى هذا الجفر مجموعة تراث أهل البيت من أحاديث النبى. منها مصحف فاطمة وهو مجموعة أحاديثها التى كتبها الإمام أمير المؤمنين (ع) فى صحيفة، وحسب ما جاء فى رواية أن فيه ما يكون من حوادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة [۹] . كما أن من تراثهم كتاب يسمى بالجامعة، وهو من إملاء رسول الله (ص) وكتابة أمير المؤمنين (ع) طوله سبعون ذراعاً وفيه أحكام الشريعة كلها. هكذا جاء فى حديث مروى عن أبى بصير عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال: سمعته يقول وذكَّر ابن بسترمه فى مسألة أفتى بها: أين هو من الجامعة إملاء رسول الله بخط على فيها جميع الحلال والحرام حتى أرش الخدش [۱۰] . وهذا التراث العلمى كان ينتقل من أئمة أهل البيت عليهم السلام من كابر لكابر، ووجوده عند واحد من أبناء الإمام الراحل كان شاهداً على أنه وصيه. لذلك نقرأ فى تاريخ الإمام الباقر (ع) أن والده الإمام السجاد (ع) التفت إلى ولده وهو فى مرض الموت وهم يجتمعون عنده، ثم التفت إلى محمد بن على ابنه. فقال: يا محمد هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك ثم قال.. أما إنه لم يكن فيه دينار ولا درهم ولكنه كان مملوءاً علماً. ونتساءل: كيف تجتمع أحكام الشريعة كلها فى كتاب محدود طوله سبعون ذراعا؟ لعل ذلك الكتاب كان محتوياً على أصول العلم ومعاقله وضيائه، حيث كان الأئمة عليهم السلام يستلهمون منها سائر أبواب العلم. كما علَّم النبى (ص) الإمام علياً (ع) أبواب العلم جميعاً بهذه الطريقة، حيث جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الصادق (ع): أوصى رسول الله إلى على بألف كلمة يفتح كل كلمة ألف كلمة [۱۱] . وفى تعبير

آخر جاء على لسان الإمام الباقر (ع) عن جده أمير المؤمنين أنه قال: لقد علمنى رسول الله ألف باب يفتح كل باب ألف باب [۱۲]. وهكذا بيَّن الأئمة أن عندهم أصول العلم ومعاقله مما يظهر أنها هى التى فى تراثهم من الرسول (ص)، فقد جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: " إن رسول الله أنال فى الناس وأنال وأنال، وإنَّا أهل بيت عندنا معاقل العلم، وأبواب الحكم، وضياء الأمر.. ". وفى حديث مأثور عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: " إن رسول الله قد أنال فى الناس وأنال وأنال، - يشير كذا وكذا - وعندنا أهل البيت أصول العلم وعراه وضياؤه وأواخيه " [۱۳].

علم الإلهام

إذا كان العلم نور الله يقذفه فى قلب من يشاء فما الذى يمنع عن قذف نور العلم فى قلب أوليائه، هكذا كان من مصادر علم الأئمة عليهم السلام الإلهام، والذى ترافقه سكينة تجعلهم يثقون بأنه من عند الله. كذلك روى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: إن علمنا غابر ومزبور ونكث فى القلب ونقر فى الأسماع، قال: أما الغابر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا، وأما النكث فى القلوب فإلهام، وأما النقر فى الأسماع فإنه من الملك. وروى زرارة مثل هذا الحديث وأضاف: قلت كيف يعلم أنه كان الملك ولا يخاف من الشيطان إذا كان لايرى الشخص قال.. إنه يلقى عليه السكينة فيعلم أنه من الملك، ولو كان من الشيطان اعتراه الفزع. وإن كان الشيطان - يأزره - لايتعرض لصد هذا الأمر [۱۴]. وعلم الإمام الباقر (ع) - كما سائر أئمة الهدى انبعث من هذه الروافد، فلم يكن غريباً، ما أظهر الله على لسانه من معارف الدين حتى قال الشيخ المفيد (قدس سره). لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن وسيرة وفنون الآداب ما ظهر عنه [۱۵]. من هنا ترى عظماء الفقه والحديث يعترفون بالمصدر الإلهى لعلمه الغزير، فقد جاء فى كشف الغمة عن الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذى فى كتابه معالم العترة الطاهرة عن الحكم بن عتيبة (وكان من كبار فقهاء عصره) أنه قال فى تفسير قوله تعالى: «إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ» (الحجر/۷۵). قال: كان والله محمد بن على منهم [۱۶]. وحكى عن أبى نعيم فى كتابه الحلية أنه سأل رجل ابن عمر عن مسألة فلم يدر ما يجيبه، فقال اذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمنى بما يجيبك، وأشار إلى الباقر (ع) فسأله فأجابه فأنجد ابن عمر فقال: إنهم أهل بيت مفهمون [۱۷]. والتعبير بكلمة مفهمون كان شائعاً فى ذلك العصر، وكان يعنى أنهم مؤيدون من عند الله يلقى عليهم الرب علماً بالإلهام. ولذلك ترى من العلماء من يقصدونه من كل أفق بحثاً عن علمه الإلهى حتى روى عن عبد الله بن عطاء أنه قال: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين (ع)، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته فى القوم بين يديه كأنه صبى بين يدى معلمه [۱۸]. وقد روى عنه محمد بن سلم ذلك الفقيه المتبحر ثلاثين ألف حديث، أما جابر الجعفى فقد قال: حدثنى أبو جعفر سبعين ألف حديث لم أحدث أحداً أبداً [۱۹]. ولأن الظروف السياسية كانت تتسم ببعض الانفراج فلقد تسنى للإمام أن يحاجج الكثير من المخالفين له ويعيدهم إلى جادة الصواب، والتاريخ يسجل لنا بعض تلك الاحتجاجات، وننقل شيئاً منها لتكون شاهدة على ما وراءها من الحجج البالغة. ۱- لقد كان عبد الله بن نافع بن الأزرق واحداً من قادة الخوارج الذين كانوا أشد الفرق عداءً للإمام على (ع) وأهل بيته، وكان يقول: لو أنى علمت أن بين قطريها أحداً تبلغنى إليه المطايا يخصمنى أن علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلت إليه، فقيل له ولا ولده، فقال أفى ولده عالم فقيل له هذا أول جهلك أو هم يخلون من عالم؟ قال فمن عالمهم اليوم؟ قيل محمد بن على بن الحسين بن على، فرحل إليه فى صناديد أصحابه حتى أتى المدينة، فاستأذن على أبى جعفر فقيل له هذا عبد الله بن نافع، قال: وما يصنع بى وهو يبرأ منى ومن أبى طرفى النهار، فقال له أبو بصير الكوفى: جعلت فداك، إن هذا يزعم أنه لو علم أن بين قطريها أحداً تبلغه المطايا إليه يخصمه أن عليّاً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه، فقال له أبو جعفر: أتراه جاءنى مناظراً؟. قال: نعم!. قال: يا غلام، اخرجْ فحط رحله، وقل له إذا كان الغد فائتنا، فلما أصبح عبد الله بن نافع غدا فى صناديد أصحابه وبعث أبو جعفر إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم، ثم خرج إلى الناس وأقبل عليهم كأنه فلقة قمر فخطب فحمد الله وأثنى عليه

وصلى على رسوله (ص) ثم قال: الحمد لله الذى أكرمنا بنبوته واختصنا بولايته، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة لعلى بن أبى طالب فليقم وليتحدث، فقام الناس فسردوا تلك المناقب فقال عبد الله أنا أروى لهذه المناقب من هؤلاء، وإنما أحدث على الكفر بعد تحكيمه الحكمين " حتى انتهوا إلى حديث خيبر لأعطين الراية غداً رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرّاراً غير فرار لا ـ يرجع حتى يفتح الله على يديه " فقال أبو جعفر (ع) ما تقول فى هذا الحديث؟ قال: هو حق لا ـ شك فيه ولكن أحدث الكفر بعد، فقال له أبو جعفر: ثكلتك أمك، أخبرنى عن الله عزَّ وجلَّ أحب على بن أبى طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم، فإن قلت لا كفرت، فقال: قد علم، قال: فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته، فقال: على أن يعمل بطاعته، فقال له أبو جعفر: فقم مخصوماً، فقام وهو يقول حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، الله أعلم حيث يجعل رسالته [۲۰] . ۲- وكان قتادة من أبرز فقهاء البصرة ولكنه كان يتشوق إلى رؤية الإمام الباقر (ع) ومناظرته، حيث كانت المدينة المنورة حاضرة الفقه والتفسير وسائر المعارف الإلهية، ولذلك فقد انتشر علم الإمام إلى كل الآفاق.. من هنا جاء قتادة إلى المدينة يسأل عن الإمام فلما رآه قال له الإمام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال: ويحك يا قتادة إن الله عزّ وجلّ خلق خلقاً فجعلهم حججاً عى خلقه فهم أوتاد فى أرضه، قوام بأمره، نجباء فى علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلةً عن يمين عرشه. فسكت قتادة طويلًا ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدى الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبى قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك، فقال له أبو جعفر: أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدى بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا ـ بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ثم ونحن أولئك. فقال له قتادة: صدقت والله جعلنى الله فداك ماهى بيوت حجارة ولا طين، قال: فأخبرنى عن الجبن، فتبسم أبو جعفر وقال: رجعت مسائلك إلى هذا، قال: ضلت عنى، فقال: لا بأس به، فقال: إنه ربما جعلت فيه أنفحة الميت، قال: ليس بها بأس إن الأنفحة ليس لها عروق ولا فيها دم ولا لها عظم، إنما تخرج من بين فرث ودم، ثم قال: وإنما الأنفحة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة فهل تأكل تلك البيضة؟ قال قتادة: لا ولا آمر بأكلها فقال له أبو جعفر: ولِمَ؟ قال: لأنها من الميتة، قال له: فإن حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة أتأكلها؟ قال: نعم قال: فما حرم عليك البيضة وأحل لك الدجاجة، ثم قال: فكذلك الأنفحة مثل البيضة فاشتر الجبن من أسواق المسلمين من أيدى المصلين ولا تسأل عنه إلّا أن يأتيك من يخبرك عنه [۲۱] . ۳- وقد بث الإمام من علمه بين الناس حتى سمى باقراً، فقد جاء فى لسان العرب أنَّه لقب به (أى بالباقر) لأنه بقر العلم، وعرف أهله واستبسط فرعه وتوسع فيه. والتبقر التوسع [۲۲] . وقال ابن حجر فى صواعقه المحرقة: سمى بذلك من بقر الأرض أى شقها وأثار مخبآتها ومكامنها، فكذلك هو أظهرَ من مخبأة الكنوز والمعارف، وحقائق الأحكام والحكم، ولطائف مالا يخفى إلّا على متطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه [۲۳] . وقد أفاض الإمام على المسلمين من علمه عبر تربيته لطائفة عظيمة من الفقهاء والمفسرين وحكماء المعارف الإلهية، من أمثال جابر بن يزيد الجعفى، ومحمد بن مسلم، وأبان بن تغلب، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، وأبو بصير الأسدى، والفضيل بن يسار وآخرين. كما أنه نشر العلم عبر من روى عنه من علماء عصره من أمثال: ابن المبارك، والزهرى، والأوزاعى. وأبى حنيفة ومالك والشافعى وزياد بن المنذر الهندى والبطرى والبلاذرى والسلامى والخطيب وغيرهم [۲۴] . وكان الولاة يجأرون إلى أهل بيت الرحمة كلما دهمتهم داهمة، وبالرغم من الصراع الحاد القائم بين الطرفين لم يدّخر الأئمة عليهم السلام وسعاً فى خدمة الإسلام وإنقاذ الأمة من الأخطار المحيطة بهم. من ذلك ما ينقل لنا التاريخ من ورطة وقع فيها الخليفة الأموى عبد الملك حسبما ذكره إبراهيم بن محمد البيهقى فى كتابه المحاسن والمساوئ حيث نقل عن الكسائى أنه قال: دخلت على الرشيد ذات يوم وهو فى (إيوانه وبين يديه مال كثير قد تشق عنه البدر شقاً، وأمر بتفريقه فى خدم الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثنى فقال: هل علمت أول من سن هذه الكتابة فى الذهب والفضة؟ قلت يا سيدى هو عبد الملك بن مروان! قال: فما كان السبب فى ذلك؟ قلت: لا علم لى غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة! فقال: سأخبرك: كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم وكانت تطرز

بالرومیة، وکان طرازها أباً وابناً وروحاً قدیساً فلم یزل ذلک کذلک وصدر الإسلام کله یمضی علی ما کان علیه إلی أن ملک عبد الملک فتنبه له وکان فطناً، فبینا هو ذات یوم إذ مر به قرطاس فنظر إلی طرازه فأمر أن یترجم إلی العربیة ففعل ذلک، فأنکره وقال: ما أغلظ هذا فی الدین والإسلام، أن یکون طراز القراطیس بمصر وهی تحمل فی الأوانی والثیاب، فتدور فی الآفاق والبلاد وقد طرزت بشرک مثبت علیها، فأمر بالکتاب إلی عبد العزیز بن مروان وکان عامله بمصر بإبطال ذلک الطراز علی ما کان یطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغیر ذلک، وأن یأمر صنّاع القراطیس بأن یطرزوها بسورة التوحید و «شَهِدَ الله أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» (آل عمران/۱۸)، وهذا طراز القراطیس خاصة إلی هذا الوقت لم ینقص ولم یزد ولم یتغیر، وکتب إلی عمال الآفاق جمیعاً بإبطال ما فی أعمالهم من القراطیس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهی شیء منها بالضرب الوجیع والحبس الطویل، فلما أثبتت القراطیس بالطراز المحدث بالتوحید وحملت إلی بلاد الروم، أنتشر خبرها ووصل إلی ملکهم، فترجم له ذلک الطراز فأنکره وغلظ علیه واستشاط غضباً فکتب إلی عبد الملک: إن عمل القراطیس بمصر وسائر ما یطرز هناک للروم، ولم یزل یطرز بطراز الروم إلی أن أبطلته، فإن کان من تقدمَک من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن کنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتین الحالتین أیهما شئت وأحببت، وقد بعثت إلیک بهدیة تشبه محلک وأحببت أن تجعل رد ذلک الطراز إلی ما کان علیه فی جمیع ما کان یطرز من أصناف الأعلاق، حاجة أشکرک علیها وتأمر بقبض الهدیة وکانت عظیمة القدر، فلما قرأ عبد الملک کتابه رد الرسول وأعلمه أن لا جواب له ولم یقبل الهدیة، فانصرف بها إلی صاحبه فلما وافاه أضعف الهدیة ورد الرسول إلی عبد الملک وقال: إنی ظننتک استقللت الهدیة فلم تقبلها ولم تجبنی عن کتابی، فأضعفت لک الهدیة وأنا أرغب إلیک فی مثل ما رغبت فیه من رد هذا الطراز إلی ما کان علیه أولاً، فقرأ عبد الملک الکتاب ولم یجبه ورد الهدیة، فکتب إلیه ملک الروم یقتضی أجوبة کتبه ویقول: إنک قد استخففت بجوابی وهدیتی ولم تسعفنی بحاجتی فتوهمتک استقللت الهدیة فأضعفتها فجریت علی سبیلک الأول وقد أضعفتها ثالثة، وأنا أحلف بالمسیح لتأمرن برد الطراز إلی ما کان علیه أو لآمرن بنقش الدنانیر والدراهم، فإنک تعلم أنه لا ینقش شیء منها إلاّ ما ینقش فی بلادی، ولم تکن الدراهم والدنانیر نقشت فی الإسلام فینقش علیها من شتم نبیک ما إذا قرأته ارفض جبینک له عرقاً، فأحب أن تقبل هدیتی، وترد الطراز إلی ما کان علیه، وتجعل ذلک هدیة بررتنی بها وتبقی علی الحال بینی وبینک، فلما قرأ عبد الملک الکتاب غلظ علیه وضاقت به الأرض وقال: أحسبنی أشأم مولود ولد فی الإسلام لأنی جنیت علی رسول الله (ص) من شتم هذا الکافر ما یبقی غابراً ولا یمکن محوه من جمیع مملکة العرب، إذ کانت المعاملات تدور بین الناس بدنانیر الروم ودراهمهم، فجمع أهل الإسلام واستشارهم فلم یجد عند أحد منهم رأیاً یعمل به، فقال له روح بن زنباع: إنک لتعلم الرأی والمخرج من هذا الأمر ولکنک تتعمد ترکه، قال ویحک من؟ قال: الباقر من أهل بیت النبی (ص) قال: صدقت ولکن أُرتج علیّ الرای فیه فکتب إلی عامله بالمدینة أن أَشْخص إلی محمد بن علی بن الحسین مکّرماً ومتّعه بمائتی ألف درهم لجهازه وبثلاثمائة ألف درهم لنفقته، وأزح علته فی جهازه من یخرج معه من أصحابه، واحتبس الرسول قبله إلی موافاته علیه، فلما وافی أخبره الخبر فقال له الباقر (ع): لا یعظمن هذا علیک فإنه لیس بشیء من جهتین: (احداهما) أن الله عزّ وجلّ لم یکن لیطلق ما تهددک به صاحب الروم فی رسول الله (ص). (والأخری) وجود الحیلة فیه، قال: وماهی؟ قال: تدعو فی هذه الساعة بصنّاع فیضربون بین یدیک سککاً للدراهم والدنانیر، وتجعل النقش علیها سورة التوحید وذکر رسول الله (ص)، أحدهما فی وجه الدرهم والدینار والآخر فی الوجه الثانی، وتجعل فی مدار الدرهم والدینار ذکر البلد الذی یضرب فیه والسنة التی تضرب فیه تلک الدراهم والدنانیر، وتعمد إلی وزن ثلاثین درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة التی العشرة منها وزن عشرة مثاقیل وعشرة منها وزن ستة مثاقیل وعشرة منها وزن خمسة مثاقیل، فتکون أوزانها جمیعاً واحداً وعشرین مثقالاً فتجزئها من الثلاثین فتصیر العدة من الجمیع وزن سبعة مثاقیل، وتصب صنجات من قواریر لا تستحیل إلی زیادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم علی وزن عشرة والدنانیر علی وزن سبعة مثاقیل، وکانت الدراهم فی ذلک الوقت إنما هی الکسرویة التی یقال لها الیوم البغلیة لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسکة کسرویة فی الإسلام مکتوب علیها صورة الملک وتحت الکرسی مکتوب

بالفارسية (نوش خر) أى كل هنيئاً، وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً والدراهم التى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هى السميرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس. ففعل عبد الملك ذلك وأمره محمد بن على بن الحسين أن يكتب السكك فى جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدم إلى الناس فى التعامل بها وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكك الإسلامية، ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم إليه يعلمه بذلك، ويقول: إن الله عزّ وجلّ مانعك مما قدرت أن تفعله وقد أقدمت إلى عمالى فى أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطراز الرومية، فقيل لملك الروم إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال: إنما اردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأنى كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم الروم فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام وممتنع من الذى قال. وثبت ما اشار به محمد بن على بن الحسين إلى اليوم ثم رمى يعنى الرشيد بالدرهم إلى بعض الخدم [٢٥] . إن العلم الإلهى الذى حباه به الرب بما أخلص له فى الطاعة، واجتهد فى سبيله بالدعاء والعمل، إنه كان وراء إرشاده إلى السبيل الأفضل لمواجهة تهديد ملك الروم. وهذا العلم كان يميز الإمام الحق عمن ادعوا هذا المقام بغير حق، سواء الولاة الظالمون أو العلويون الذين نازعوا الأئمة حقهم. وهكذا نجد فى تاريخ أهل البيت عليهم السلام كيف كان يقول شيعتهم عليهم بما لديهم من علم الدين والعلم بالحقائق الخفية بإذن الله، وبالتوسم بنور الله وبتأييد ملائكة الله. وفيما يلى ننقل بعض الأحاديث التى تزيدنا معرفة بمقام الإمامة عموماً وبدرجات الإمام الباقر (ع) بالذات. فقد روى الحلبى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: دخل الناس على أبى (الإمام الباقر) وقالوا: ما حد الإمام؟ قال: حده عظيم، إذا دخلتم عليه فوقروه وعظموه وآمنوا بما جاء به من شىء، وعليه أن يهديكم، وفيه خصلة إذا دخلتم عليه لم يقدر أحد أن يملأ عينه منه إجلالاً وهيبةً، لأن رسول الله (ص) كذلك كان، وكذلك يكون الإمام، قالوا: فيعرف شيعته؟ قال: نعم ساعة يراهم، قالوا: فنحن لك شيعة؟ قال: نعم كلكم قالوا: أخبرنا بعلامة ذلك قال: أخبركم باسماءكم وأسماء آبائكم وقبائلكم؟ قالوا: أخبرنا، فأخبرهم، قالوا: صدقت، (قال:) وأخبركم عما أردتم أن تسألوا عنه فى قوله تعالى: «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَآءِ» (ابراهيم/٢٤) نحن نعطى شيعتنا من نشاء من علمنا، ثم قال: يقنعكم؟ قالوا: فى دون هذا نقنع [٢٦] . وينقل عبد الله بن معاوية الجعفرى قصته مع والى المدينة، الذى بعث عبره برسالة تهديد إلى الإمام الباقر (ع)، فلم يأبه بها الإمام لأن الله أطلعه على أنه معزول قريبا، يقول سأحدثكم بما سمعته أذناى ورأته عيناى من أبى جعفر (ع) أنه كان على المدينة رجل من آل مروان وأنه أرسل إلىّ يوماً فأتيته وماعنده أحد من الناس، فقال: يا معاوية إنما دعوتك لثقتى بك، وإنى قد علمت أنه لايبلغ عنى غيرك، فأحببت أن تلقى عمَّيْك محمد بن على وزيد بن الحسين (ع) وتقول لهما: يقول لكما الأمير لتكفان عما يبلغنى عنكما، أو لتنكران، فخرجت متوجهاً إلى ابى جعفر فاستقبلته متوجهاً إلى المسجد فلما دنوت منه تبسم ضاحكاً فقال: بعث إليك هذا الطاغية ودعاك وقال: القَ عمَّيك فقل لهما كذا؟ قال: أخبرنى ابو جعفر بمقالته كأنه كان حاضراً، ثم قال: يا ابن عم قد كفينا أمره بعد غد، فإنه معزول ومنفى إلى بلاد مصر والله ما أنا بساحر ولا كاهن، ولكنى أتيت وحدثت، قال: فوالله ما أتى عليه اليوم الثانى حتى ورد عليه عزله ونفيه إلى مصر وولى المدينة غيره [٢٧] . أما أبو بصير الذى كان من خواص الإمام فإنه يروى قصته مع الإمام وكيف كان (ع) يراقبه ويؤدبه يقول: كنت أقرئ امرأة القرآن بالكوفة فمازحتها بشىء، فلما دخلت على أبى جعفر عاتبنى وقال: من ارتكب الذنب فى الخلاء لم يعبأ الله به، أى شىء قلت للمرأة؟ فغطيت وجهى حياءً وتبت فقال أبو جعفر: لا تعد [٢٨] . ويروى أبو بصير أيضاً كيف أخبر الإمام عن ملك بنى العباس قبل سنين من توليهم السلطة فيقول: كنت مع الباقر فى مسجد رسول الله (ص) قاعداً حدْثان ما مات على بن الحسين (ع) إذ دخل الدوانيقى وداود بن سليمان قبل أن أفضى الملك إلى ولد العباس، وما قعد إلى الباقر إلّا داود فقال الباقر (ع): ما منع الدوانيقى أن يأتى؟ قال: فيه جفاء، قال الباقر (ع): تذهب الأيام حتى يلى أمر هذا الخلق ويطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها بطول عمره فيها حتى يجمع من كنوز الأموال مالم يجتمع لأحد قبله، فقام داود وأخبر الدوانيقى بذلك فأقبل إليه الدوانيقى وقال: ما منعنى من الجلوس إليك إجلالك فما الذى خبرنى به داود؟ فقال: هو كائن، قال: وملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم، قال: يملك بعدى أحد من

ولدى؟ قال: نعم، قال: فمدة بنى أمية أكثر أم مدتنا؟ قال: مدتكم أطول وليتلقفن هذا الملك صبيانكم ويلعبون كما يلعبون بالكرة، هذا ما عهده إلىّ أبى، فلما ملك الدوانيقى تعجب من قول الباقر (ع) [۲۹] .

خصال الإمام

لا يختار الله عبداً لمقام الإمامة. ويجعله حجة بالغة على خلقه إلّا إذا اكتملت فيه الخصال الجيدة. وكان مثلًا لما أقر به سبحانه فى كتابه من خشية الله وتوقيره. وتعظيمه وتجليله. وإخلاص العبودية له والتى تتجلى فى جملة أقواله وأفعاله. فلا يقول إلّا صواباً ولا يعمل إلّا رشداً. وإذا كنا ننقل بعض خصال الإمام الباقر (ع) الحميدة، أو خصال أحد المعصومين عليهم السلام، فلكى نأتى بالشواهد الواضحة التى تدلنا على أمثالها، وليس لأننا نريد أن تختصر كل حياة الإمام فيها. أو نحصى فضائله وخصاله الحميدة، كلا.. لأننا نعرف سلفاً أن حياتهم كانت صورة واقعية عن القرآن الكريم، بيد أن ما بلغنا منها لم يكن مستوعباً لجوانب حياتهم، لأن جانباً منها انبهر به المؤرخون فأكثروا فيه الحديث واكتفوا بقياس سائر الجوانب عليه، فمثلًا ذكروا من حياة الإمام السجاد جانب العبادة، ولم يتحدثوا كثيراً عن جانب العلم، بينما عكسوا الأمر فيما يتصل بحياة الإمام الباقر (ع). وهكذا نكتفى ببعض الإشراقات التى وصلت إلينا من حياة الإمام ونترك للقارئ أن يقيس سائر أبعاد حياته عليها. " قال: ابن شهراشوب فى المناقب ": كان أصدق الناس لهجة وأحسنهم بهجة وأبذلهم مهجة، وكان أقل أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة، وكان يتصدق كل جمعة بدينار، وكان يقول الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضل يوم الجمعة على غيره من الأيام، وكان إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا فأمنوا، وكان كثير الذكر، كان يمشى وإنه ليذكر الله ويأكل الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله عن ذكر الله، وكان يجمع ولده فيأمرهم بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منهم ومن كان لا ـ يقرأ منهم أمره بالذكر، ويأتى قول المفيد: وكان ظاهر الجود فى الخاصة والعامة مشهور الكرم فى الكافة، معروفاً بالتفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله، ويأتى عن سليمان بن دمدم أنه عليه السلام كان يجيز بالخمسمائة درهم إلى الستمائة إلى الألف، وكان لا يمل من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه، وكان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتنى. وقال الأبى فى كتاب نثر الدرر: كان إذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة، وكان لايسمع من داره يا سائل بورك فيك ولا يا سائل خذ هذا وكان يقول: سموهم بأحسن أسمائهم [۳۰] . وحينما يذكر أبو نعيم فى كتابه الحلية الإمام يصفه بهذا النعت: الحاضر الذاكر الخاشع الصابر أبو جعفر محمد بن على الباقر [۳۱] . وكان من شدة خشوعه ما يذكره (أفلح) مولى أبى جعفر أنه قال: خرجت مع محمد بن على حاجّاً فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته، فقلت: بأبى أنت وأمى إن الناس ينظرون إليك فلو رفعت بصوتك قليلًا [۳۲] فقال لى: ويحك يا أفلح ولم لا أبكى لعل الله تعالى أن ينظر إلىّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً، قال (أفلح) ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من كثرة دموع عينه ويضيف أفلح قائلًا: كان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتنى [۳۳] . ويقول نجله الإمام الصادق (ع) وهو يصف تبتل والده إلى الله: كان أبى كثير الذكر، لقد كنت أمشى معه وإنه يذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله. وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا الله إلّا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقرآن من كان يقرأ منا ومن كان لايقرأ منا أمره بالذكر [۳۴] . ويقول الإمام الصادق (ع): إنى كنت أمهد لأبى فراشه فأنتظره حتى يأتى، فإذا أوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشى. وإنه أبطأ علىّ ذات ليلة فأتيت المسجد فى طلبه وذلك بعدما هدأ الناس، فإذا هو فى المسجد ساجد، وليس فى المسجد غيره وسمعت حنينه وهو يقول: سبحانك اللهم أنت ربى حقاً حقاً، سجدت لك تعبداً ورقاً، اللهم إن عملى ضعيف فضاعفه لى، اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك، وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم [۳۵] . وكان (ع) شديد الحب لكتاب ربه، عظيم الاهتمام به والتأثر بآياته، حتى أن أبان بن ميمون القداح قال: قال لى أبو جعفر (ع): إقرأ. قلت: من أى شىء أقرأ؟. قال: من السورة التاسعة؟ قال: فجمعت ارتمسها فقال: اقرأ من سورة يونس فقال.. قرأت «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ» (يونس/۲۶)

قال: حسبک، قال: قال رسول الله (ص): إنّی لأعجبُ کیف لا أشیب إذا قرأت القرآن [۳۶] . وکان یستلهم من کتاب ربه معارف الدین حتی أنه یدعو الرواة أن یسألوه عن مصدر أقوالهم من القرآن، هکذا یروی أبو الجارود قال: قال أبو جعفر (ع): إذا حدثتکم بشیء فاسألونی عن کتاب الله. ثم قال: حتی حدیثه أن الله نهی عن القیل والقال وفساد المال وکثرة السؤال: فقالوا یابن رسول الله وأین هذا من کتاب الله؟ فقال: إن الله عزّ وجلّ یقول فی کتابه: «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ» (النساء/۱۱۴) وقال: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَاماً» (النساء/۵) وقال: «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» (المائدة/۱۰۱) [۳۷] . وإذا سأل عن حاله استغل السؤال لتذکیر نفسه والسائل بالله، فقد روی أنه قیل لمحمد بن علی الباقر (ع) کیف أصبحت: قال: " أصبحنا غرقی فی النعمة، موتورین بالذنوب، یتحبب إلینا إلهنا بالنعم، ونتمقت إلیه بالمعاصی، ونحن نفتقر إلیه وهو غنی عنّا " [۳۸] . وکان (ع) شدید التسلیم لأمر الله فقد روی بعض أصحابه أنه قال: کان قوم أتوا أبا جعفر (ع): فوافوا صبیاً له مریضاً، فرأوا منه اهتماماً وغماً، وجعل لا یقر (قال) فقالوا: والله لإن أصابه بشیء إنا نتخوف أن نری منه ما نکره، قال فما لبثوا أن سمعوا الصیاح علیه، فإذا هو قد خرج علیهم منبسط الوجه فی غیر الحال التی کان علیها، فقالوا له: جعلنا الله فداک لقد کنا نخاف مما نری منک أن لو وقع ان نری منک ما یغمنا، فقال لهم: إنا لنحب أن نعافی فی من نحب، فإذا جاء أمر الله سلمنا فیما یحب [۳۹] . وکان (ع) لا یلویه عن العمل الصالح شیء. وفی ذلک روایة طریفة ینقلها بعض أصحابه حیث یقول: - حضر أبو جعفر (ع) جنازة رجل من قریش وأنا معه، وکان فیها عطاء فصرخت صارخة فقال عطاء: لتسکتن أو لنرجعن، قال: فلم تسکت فرجع عطاء قال: فقلت لأبی جعفر (ع) إن عطاء قد یرجع، قال: ولِمَ؟ قلت: صرخت هذه الصارخة فقال لها: لتسکتن أو لنرجعن؟ فلم تسکت فرجع، " فقال: إمضِ بنا فلو أنا إذا رأینا من الباطل مع الحق ترکنا له الحق لم نقضِ حق مسلم، قال: فلما صلی علی الجنازة قال ولیها لأبی جعفر: إرجع مأجوراً رحمک الله فإنک لا تقوی علی المشی، فأبی أن یرجع، قال فقلت له: قد اذن لک فی الرجوع ولی حاجة أرید أن أسالک عنها، فقال: إمضِ فلیس بإذنه مشینا ولا بإذنه نرجع، إنما هو فضل وأجر طلبناه فبقدر ما یتبع الجنازة الرجل یؤجر علی ذلک [۴۰] . أما معاشرته لإخوانه فقد کانت غایة فی الأدب، فمثلاً یحکی أبو عبیدة عن آداب عشرته فی السفر فیقول: کنت زمیل أبی جعفر (ع) وکنت أبدأ بالرکوب ثم یرکب هو " فإذا استوینا سلّم وسأل مسألة رجل لا عهد له بصاحبه، وصافح، قال: وکان إذا أنزل نزل قبلی، فإذا استویت أنا وهو علی الأرض سلم وسأل مسألة من لا عهد له بصاحبه، فقلت یابن رسول الله إنک تفعل شیئاً ما یفعله من قبلنا، وإن فعل مرة لکثیر، فقال: أما علمت ما فی المصافحة، إن المؤمنین یلتقیان فیصافح أحدهما صاحبه فما تزال الذنوب تتحات عنهما کما یتحات الورق عن الشجر والله ینظر إلیهما حتی یفترقان [۴۱] . وکان فی تعامله مع الناس برّاً عفیفاً، وکان یعفو عن السیئة أنی استطاع إلی ذلک سبیلاً، وکان لذلک أطیب الأثر فی نفوس الناس، فقد قال له نصرانی یوماً: أنت بقر قال: لا- أنا باقر قال: أنت ابن الطباخة (یرید تعییره بها) قال: تلک حرفتها، قال: أنت ابن السوداء الزنجیة البذیة؟ قال: إن کنت صدقت غفر الله لها، وإن کنت کذبت غفر الله لک، فانبهر النصرانی بأخلاقه، ودعاه ذلک إلی الإسلام علی یدیه [۴۲] . وقد کان تعامله مع المستضعفین یتمیز بالشفقة والرفق، وقد روی عن نجله الإمام الصادق (ع) أنه قال: إذا استکملتم ما ملکت أیمانکم فی شیء فیشق علیهم فاعملوا معهم فیه، قال: وإن کان أبی (الإمام الباقر علیه السلام) لیأمرهم فیقول کما أنتم، فیأتی فینظر، فإن کان ثقیلاً- قال باسم الله ثم عمل معهم، وإن کان خفیفاً تنحی عنهم [۴۳] . وربما کان عمله فی إصلاح حقله ومزرعته لهذه الجهة، حیث کان الأئمة (ع) یرون الکدح والکد أمراً محبوباً یقربهم إلی الله. فی ذلک یروی أبو عبد الله الصادق أن محمد بن المکدر کان یقول: ما کنت أری أن مثل علی بن الحسین یدع خلفاً لفضل علی بن الحسین حتی رأیت ابنه محمد بن علی، فأردت أن اعظه فوعظنی، فقال له أصحابه: بأی شیء یعظک؟ قال: خرجت إلی بعض نواحی المدینة فی ساعة حارة فلقیت محمد بن علی وکان رجلاً بدیناً وهو متّکٍ علی غلامین له أسودین أو مولیین، فقلت فی نفسی: شیخ من شیوخ قریش فی هذه الساعة علی هذه الحال فی طلب الدنیا، أشهد لأعظنه، فدنوت منه فسلمت علیه، فسلّم علیَّ ببهر وقد تصبب عرقاً، فقلت أصلحک الله یا شیخ من أشیاخ قریش فی هذه الساعة علی هذه الحال فی طلب الدنیا، لو جاءک الموت وأنت علی هذه الحال؟ قال: فخلی عن الغلامین من یده، ثم

تساند وقال: لو جاءنی والله الموت وأنا فی هذه الحال جاءنی وأنا فی طاعة من طاعات الله تعالی أکفّ بها نفسی عنک وعن الناس، وإنما کنت أخاف الموت لو جاءنی وأنا علی معصیة من معاصی الله، فقلت: یرحمک الله أردت أن أعظک فوعظتنی [۴۴] . وکان یمکن الإمام أن یستخدم عبیده فی أمر إصلاح أرضه، إلاّ أنه أحب أن یراه الله کاداً فی سبیل إعاشة عیاله. ونختم حدیثنا عن عِشرة الإمام بحدیث یرویه الإمام الصادق (ع) یقول: أعتق أبو جعفر من غلمانه عند موته شرارهم وأمسک خیارهم. فقلت: یا أبته تعتق هؤلاء وتمسک هؤلاء؟ فقال: إنهم قد أصابوا منی حزناً فیکون هذا بهذا [۴۵] . هکذا ضرب الإمام أروع الأمثلة فی الخصال الحمیدة والآداب الرفیعة، ولا ریب أن الرواة لم ینقلوا لنا إلاّ نزراً یسیراً من جوانب حیاته التی تفیض بالحکمة والرشاد.. فسلام الله علیه أبداً وصلاته علیه دائماً سرمداً.

الامام وعصره

من خلال مراجعة سریعة لعصر الإمام الباقر (ع) نعرف أن هدوءاً غاضباً کان یسوده قبل أن تهدر العاصفة الثائرة، التی أطاحت بالحکم الأموی بعد وفاة الإمام الباقر (ع)، وحملت إلی الساحة النظام العباسی فی عهد الإمام الصادق (ع). ومن خلال الشواهد التی نستوحیها من قصص حیاته (ع) نتلمس ملامح ذلک العصر.. وکیف أن إرهاصات العاصفة کانت ظاهرة هنا وهناک. أولاً: الشاهد الأول ظاهرة عمر بن عبد العزیز الخلیفة الأموی الذی قاد ثورةً إصلاحیة من قمة هرم فمع النجاح الجزئی الذی کسبه هذا الخلیفة. إلاّ أنه لم ینجح لسببین: الأول: لأنه جاء متأخراً جِّداً إذ أن الفرق الإسلامیة التی تبنت معارضة الحکم الأموی کانت راسخة الجذور فی الأمة.. ولم تکن تنخدع بهذه اللعبة السیاسیة. وفی طلیعتها شیعة أهل البیت علیهم السلام، الذین کان وعیهم بالسیاسة إلی درجة لم یکن بإمکان ابن عبد العزیز أو عبد الله المأمون أن یؤثرا فیهم، وذلک بفضل ثقافتهم القرآنیة. وتوعیة الائمة بحقائق الإسلام. ومن أبرزها أن الحکم لیس بالوراثة أو القوة، وانما هو بأمر الدین، فها هو الإمام الباقر (ع) یقول لأصحابه أن أهل السماء یلعنون عمر بن عبد العزیز – وذلک حتی قبل تولیه السلطة – لنستمع إلی الحدیث التالی: روی أبو بصیر قال: کنت مع الباقر فی المسجد إذ دخل عمر بن عبد العزیز، وعلیه ثوبان ممصران متکئاً علی مولی له، فقال: لَیَلِیَنَّ هذا الغلام فیظهر العدل، ویعیش أربع سنین ثم یموت فیبکی علیه أهل الارض ویلعنه أهل السماء، قال: یجلس فی مجلس لا حق له فیه، ثم ملک وأظهر العدل جهده [۴۶] . هکذا یعتبره الإمام ملعوناً لأنه قد جلس فی مقام الخلافة الذی لا یحق له الجلوس فیه أبداً. صحیح أن ابن عبد العزیز أعاد فدکاً إلی البیت العلوی، وکانت فدک رمزاً لظلامة أهل البیت، وکان ردها دلیلاً عند الناس علی صدق مذهبهم. إلاّ إن الأئمة لم یعبأوا بذلک ولم یعتبروه کافیاً لحسن سلوک النظام، لأن النظام کان اساسه باطلاً، وکانت حرکة الأئمة تستهدف إصلاح المجتمع من جذوره کما یفعل الأنبیاء (ع). والحدیث التالی یکشف عن طریقة تفکیر طلیعة الأمة فیما یتعلق بنظام عمر بن عبد العزیز، دعنا نستمع إلیه. فقد روی أن عمر بن عبد العزیز کتب إلی عامله بخراسان أن أوفد إلیّ من علماء بلادک مائة رجل أسألهم عن سیرتک، فجمعهم عامله وقال لهم ذلک، فاعتذروا وقالوا إن لنا عیالاً وأشغالاً لا یمکننا مفارقته، وعدله لا یقتضی إجبارنا، ولکن قد أجمعنا علی رجل منا یکون عوضنا عنده، ولساننا لدیه، فقوله قولنا، ورأیه رأینا فأوفد به العامل إلیه، فلما دخل علیه سلم وجلس، فقال له: أخل لی المجلس، فقال له: ولم ذلک؟ وأنت لا تخلو أن تقول حقاً فیصدقوک، أو تقول باطلاً فیکذبوک فقال له: لیس من أجلی ارید خلو المجلس، ولکن من أجلک، فإنی أخاف أن یدور بیننا کلام تکره سماعه. فأمر بإخراج أهل المجلس ثم قال له: قل! فقال: أخبرنی عن هذا الأمر من أین صار إلیک؟ فسکت طویلاً فقال له: ألاـ تقول؟ فقال: لاـ فقال: ولم؟ فقال له: إن قلت بنص من الله ورسوله کنت کاذباً، وأن قلت بإجماع المسلمین، قلت فنحن أهل بلاد المشرق ولم نعلم بذلک، ولم نجمع علیه، وإن قلت بالمیراث من آبائی، قلت بنو أبیک کثیر فلِمَ تفردت به دونهم؟ فقال له: الحمد لله علی اعترافک علی نفسک بالحق لغیرک، أفأرجع إلی بلادی؟ فقال: لا فوالله إنک لواعظ قط فقل ما عندک بعد ذلک فقال له: رأیت أن من تقدمنی ظلم وغشم وجار واستأثر بفیء المسلمین، وعلمت من نفسی أنی لا استحل ذلک، وأن المؤمنین لا شیء یکون أنقص

وأخف عليهم فوليت، فقال له: أخبرنى لولم تل هذا الأمر ووليه غيرك، وفعل ما فعل من كان قبله، أكان يلزمك من إثمه شىء؟ فقال: لا، فقال له: فأراك قد شريت راحة غيرك بتعبك، وسلامته بخطرك فقال له: إنك لواعظ قط، فقام ليخرج ثم قال له: والله لقد هلك أولنا بأولكم وأوسطنا بأوسطكم، وسيهلك آخرنا بآخركم، والله المستعان عليكم، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وموقف الإمام من عمر بن عبد العزيز كان انتهاز الفرصة المؤاتية لتبليغ الرسالة ونصيحة الولاة، ويصحح ما يمكن تصحيحه من أوضاع الأمة دون الإعتراف بشرعية النظام بالجملة، وفيما يلى نقرأ حديثاً يصف دخول الإمام عليه ونصيحته له: " يروى هشام بن معاذ ويقول: كنت جليساً لعمر بن عبد العزيز حيث دخل المدينة، فأمر مناديه فنادى من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب، فأتى محمد بن على يعنى الباقر (ع) فدخل إليه مولاه مزاحم فقال: إن محمد بن على بالباب، فقال له: أدخله يا مزاحم، قال: فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع فقال له محمد بن على: ما أبكاك يا عمر؟ فقال هشام: أبكانى كذا وكذا يا ابن رسول الله، فقال محمد بن على (ع): يا عمر إنما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم، ومنها خرجوا بما يضرهم، وكم من قوم قد غرتهم بمثل الذى أصبحنا فيه، حتى أتاهم الموت فاستوعبوا، فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا لما أحبوا من الآخرة عدة، ولا مما كرهوا جنة، قسم ما جمعوا من لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم، فنحن والله محقوقون، إن ننظر إلى تلك الأعمال التى كنا نغبطهم بها، فنوافقهم فيها، وننظر إلى تلك الأعمال التى كنا نتخوف عليهم منها، فنكف عنها. فاتق الله واجعل فى قلبك اثنتين، تنظر الذى تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدِّمه بين يديك، وتنظر الذى تكرهه أن يكون معك إذا قدمت على ربك فابتغ به البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك، ترجو أن تجوز عنك، واتق الله يا عمر وافتح الأبواب وسهِّل الحجاب، وانصر المظلوم ورد المظالم. ثم قال: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله، فجثا عمر على ركبتيه وقال: إيه يا أهل النبوة فقال: نعم يا عمر من إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له، فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن على (ع) فدك. ثانياً: يبدو أن بنى أمية كانوا يتجنبون قتل أبناء على (ع) بصورة ظاهرة، للآثار السلبية التى خلفتها عليهم واقعة الطف، وكان الأئمة بدورهم لا يجدون الظروف مؤاتية للقيام بنهضة دموية. والقصة التالية التى يذكرها الرواة تشهد بذلك، فبعد أن نازع زيد بن الحسن الإمام الباقر فى ميراث رسول الله استنجد بالخليفة الأموى (عبد الملك بن مروان) ودخل عليه وقال له: أتيتك من عند ساحر كذاب لا يحل لك تركه. فكتب عبد الملك كتاباً إلى واليه على المدينة أن يبعث إليه محمد بن على مقيداً، وقال لزيد: أرأيتك إن وليتك قتله قتلته؟ قال: نعم. ولكن عامله على المدينة استدرك الأمر وكتب إلى الخليفة: إن الرجل الذى أردته لا يوجد اليوم على وجه الأرض أعف منه ولا أزهد ولا أورع منه، وإنه ليقرأ فى محرابه فيجتمع الطير والسباع تعجباً لصوته، وإن قراءته وكتبه مزامير داود، وإنه من أعلم الناس، وارق الناس، وأشد الناس اجتهاداً وعبادةً، وأضاف فى كتابه: وكرهت لأمير المؤمنين التعرض له، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. وهكذا تراجع عبد الملك مما بدر منه. وبعد أن اكتشف كذب زيد بن الحسن أخذه وقيّده وهيَّأه، وقال له: لولا أنى أريد أن لا أبتلى بدم أحد منكم لقتلتك. ثم كتب إلى الإمام الباقر (ع) بعثت إليك بابن عمك فأحسن أدبه [۴۷] . من هذه القصة نعرف أن ملوك بنى أمية كانوا يتجنبون ما أمكنهم قتل أولاد على (ع) بصورة ظاهرة. ثالثاً: كانت المعارضة العلنية لحكم بنى أمية أصبحت معروفة، ويروى التاريخ بعض النماذج منها ونذكر فيما يلى اثنين منها: ۱- يحكى الديلمى قصة طريفة فى كتابه إعلام الدين يقول: قال رجل لعبد الملك بن مروان أُناظرك وأنا آمن، قال: نعم، فقال: أخبرنى عن هذا الأمر الذى صار إليك أبنص من الله ورسوله؟ قال: لا، قال: اجتمعت الأمة فترضّوا بك؟ قال: لا، فقال: فكانت لك بيعة فى أعناقهم فرضوا بها؟ قال: لا، قال: فاختارك أهل الشورى؟ قال: لا، قال: أفليس قد قهرتهم على أمرهم، واستأثرت بغيئهم، دونهم؟ قال: بلى، قال: فبأى شىء سُميت أمير المؤمنين؟ ولم يؤمرك الله ورسوله ولا المسلمون، قال له أخرج عن بلادى وإلّا قتلتك، قال: ليس هذا جواب أهل العدل والإنصاف، ثم خرج عنه [۴۸] . ۲- وقصة أخرى ينقلها الشيخ الطوسى فى أماليه عن الشيخ المفيد عن الثمالى قال: حدثنى من حضر عبد الملك بن مروان وهو يخطب الناس بمكة،

فلما صار إلى موضع العظة من خطبته، قام إليه رجل فقال له: مهلاً مهلاً، إنكم تأمرون ولا تأتمرون، وتنهون ولاتنتهون، وتعظون ولا تتعظون، أفاقتداء بسيرتكم أم طاعة لأمركم؟ فإن قلتم اقتداءً بسيرتنا فكيف يقتدى بسيرة الظالمين، وما الحجة فى اتباع المجرمين الذين اتخذوا مال الله دولاً، وجعلوا عباد الله خولاً، وإن قلتم أطيعوا أمرنا، واقبلوا نصحنا، فكيف ينصح غيره من لم ينصح نفسه؟ أم كيف تجب طاعة من لم تثبت له عدالة؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلوا العظة ممن سمعتموها، فلعل فينا من هو أفصح بصنوف العظات وأعرف بوجوه اللغات منكم، فتزحزحوا عنها وأطلقوا أقفالها وخلّوا سبيلها، ينتدب لها الذين شردتهم فى البلاد، ونقلتموهم عن مستقرهم إلى كل واد، فوالله ما قلدناكم أزمة أمورنا، وحكمناكم فى أموالنا وابداننا وأدياننا، لتسيروا فينا بسيرة الجبارين، غير أنا بصراء بأنفسنا لاستيفاء المدة وبلوغ الغاية وتمام المحنة، ولكل قائم منكم يوم لا يعدوه، وكتاب لابدّ أن يتلوه، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، قال: فقام إليه بعض أصحابه المسالح، فقبض عليه، وكان آخر عهدنا به، ولا ندرى ما كانت حاله [۴۹] . رابعاً: خروج الإمام إلى الشام. إن حادثة استدعاء هشام بن عبد الملك الإمام الباقر (ع) من المدينة إلى الشام، تكشف عن طبيعة علاقة الإمام بالسلطة السياسية، وما كان يعانيه منها، وكيف كان يتحداها، ونحن إذ نثبت نصّاً تاريخياً فيها ندع للقارئ فرصة التأمل فيها، على أن النصوص مختلفة فى تفاصيل هذه الواقعة وإنما نذكر أكثرها تفصيلاً بإذن الله. وقد حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حج فى تلك السنة محمد بن على الباقر وابنه جعفر بن محمد عليهما السلام. وقال الإمام الصادق (ع): الحمد لله الذى بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا به فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفاؤه، فالسعيد من اتبعنا والشقى من عادانا وخالفنا. ثم قال: فأخبر مسلمة أخاه بما سمع، فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبى وإشخاصى معه، فأشخصنا، فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً، ثم أذن لنا فى اليوم الرابع فدخلنا، وإذا قد قعد على سرير الملك، وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم سماطان متسلحان، وقد نصب البرجاس حذاه وأشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا وأبى أمامى وأنا خلفه، فنادى أبى وقال: يا محمد إرم مع أشياخ قومك الغرض. فقال له: إنى قد كبرت عن الرمى فهل رأيت أن تعفينى. فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد (ص) لا أعفيك، ثم أومأ إلى شيخ من بنى أمية أن اعطه قوسك، فتناول أبى عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول منه سهماً، فوضعه فى كبد القوس، ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشق فواق سهمه إلى نصله ثم تابع الرمى حتى شق تسعة أسهم بعضها فى جوف بعض، وهشام يضطرب فى مجلسه فلم يتمالك إلاـ أن قال: أجدت يا أبا جعفر وأنت أرمى العرب والعجم، هلّا زعمت أنك كبرت عن الرمى، ثم أدركته ندامة على ما قال. وكان هشام لم يكن كنّى أحداً قبل أبى ولا بعده فى خلافته، فهمَّ به وأطرق إلى الأرض إطراقة يتروى فيها. وأنا وأبى واقفان حذاه مواجهين له، فلما طال وقوفنا غضب أبى فهم به، وكان أبى (ع) إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب فى وجهه، فلما نظر هشام إلى ذلك من أبى. قال له: إلى يا محمد! فصعد أبى إلى السرير، وأنا أتبعه، فلما دنا من هشام، قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه، ثم اعتنقنى وأقعدنى عن يمين أبى، ثم أقبل على أبى بوجهه. فقال له: يا محمد لاتزال العرب والعجم تسودها قريش مادام فيهم مثلك، لله درك، من علمك هذا الرمى؟ وفى كم تعلمته؟ فقال أبى: قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتى ثم تركته، فلما اراد أمير المؤمنين منى ذلك عدت فيه. فقال له: ما رأيت مثل هذا الرَّمى قط مُذْ عقلت، وما ظننت أن فى الأرض أحداً يرمى مثل هذا الرمى أيرمى جعفر مثل رميك؟ فقال: إنا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله على نبيه (ص) فى قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً» (المائدة/۳) والأرض لا تخلو ممن يكمل هذه الأمور التى يقصر غيرنا عنها. قال: فلما سمع ذلك من أبى انقلبت عينه اليمنى فاحولت واحمر وجهه، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب، ثم أطرق هنيئة ثم رفع رأسه. فقال لأبى: ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟ فقال أبى: نحن كذلك ولكن الله جل ثناءه اختصنا من مكنون سره وخالص علمه بما لم يخص أحداً به غيرنا. فقال: أليس الله جل ثناؤه بعث محمداً (ص) من شجرة عبد مناف إلى الناس كافة، أبيضها وأسودها وأحمرها من أين ورثتم ما ليس لغيركم؟ ورسول الله (ص) مبعوث إلى الناس

کافهٔ وذلک قول الله تبارک وتعالی: «وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» (آل عمران/۱۸۰) إلی آخر الآیهٔ فمن أین ورثتم هذا العلم ولیس بعد محمد نبی ولا أنتم أنبیاء؟ فقال: من قوله تبارک وتعالی لنبیّه (ص): «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» (القیامهٔ/۱۶) الذی لم یحرک به لسانه لغیرنا أمره الله أن یخصنا به من دون غیرنا، فلذلک کان ناجی أخاه علیاً من دون أصحابه فأنزل الله بذلک قرآناً فی قوله: «وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» (الحاقهٔ/۱۲) فقال رسول الله (ص) لأصحابه: سألت الله أن یجعلها أذنک یا علی، فلذلک قال علی بن أبی طالب صلوات الله علیه بالکوفهٔ: علّمنی رسول الله (ص) ألف باب من العلم ففتح لکل باب ألف باب، خصَّه رسول الله (ص) من مکنون سره بما یخص أمیر المؤمنین أکرم الخلق علیه، فکما خص الله نبیه (ص) خص نبیه (ص) أخاه علیاً من مکنون سره بما لم یخص به أحداً من قومه، حتی صار إلینا فتوارثنا من دون أهلنا. فقال هشام بن عبد الملک: إن علیاً کان یدعی علم الغیب والله لم یطلع علی غیبه أحداً، فمن أین ادعی ذلک؟ فقال أبی: إن الله جل ذکره أنزل علی نبیّه (ص) کتاباً بیّن فیه ما کان وما یکون إلی یوم القیامهٔ فی قوله تعالی: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل/۸۹) وفی قوله: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ» (الانعام/۳۸) وأوحی الله إلی نبیه (ص) أن لا یبقی فی غیبه وسره ومکنون علمه شیئاً إلاّ یناجی به علیّاً، فأمره أن یؤلف القرآن من بعده، ویتولی غسله وتکفینه وتحنیطه من دون قومه، وقال لأصحابه: حرام علی أصحابی وأهلی أن ینظروا إلی عورتی غیر أخی علی، فإنه منی وأنا منه، له مالی وعلیه ما علیَّ، وهو قاضی دینی ومنجز وعدی. ثم قال لأصحابه: علی بن أبی طالب یقاتل علی تأویل القرآن کما قاتلت علی تنزیله، ولم یکن عند أحد تأویل القرآن بکماله وتمامه إلاّ عند علی (ع)، ولذلک قال رسول الله (ص) لأصحابه: أقضاکم علی أی هو قاضیکم وقال عمر بن الخطاب: لولا علی لهلک عمر، یشهد له عمر ویجحده غیره. فأطرق هشام طویلاً ثم رفع رأسه فقال: سل حاجتک. فقال: خلفت عیالی وأهلی مستوحشین لخروجی. فقال: قد آنس الله وحشتهم برجوعوک إلیهم ولا تقم، سر من یومک. فاعتنقه أبی ودعا له وفعلت أنا کفعل أبی، ثم نهض ونهضت معه وخرجنا إلی بابه، وإذا بمیدان ببابه وفی آخر المیدان أناس قعود عددهم کثیر، قال أبی: من هؤلاء؟ فقال الحجاب هؤلاء القسیسون والرهبان وهذا عالم لهم یقعد إلیهم فی کل سنهٔ یوماً واحداً یستفتونه فیفتیهم. فلف أبی عند ذلک رأسه بفاضل ردائه وفعلت أنا مثل فعل أبی، فأقبل نحوهم حتی قعد نحوهم وقعدت وراء أبی، ورفع ذلک الخبر إلی هشام، فأمر بعض غلمانه أن یحضر الموضع فینظر ما یصنع أبی، فأقبل وأقبل عداد من المسلمین فأحاطوا بنا، وأقبل عالم النصاری وقد شد حاجبیه بحریرهٔ صفراء حتی توسطنا، فقام إلیه جمیع القسیسین والرهبان مسلمین علیه، فجاؤوا به إلی صدر المجلس فقعد فیه، وأحاط به أصحابه وأبی وأنا بینهم، فأدار نظره ثم قال لأبی: أمنّا أم من هذه الأمهٔ المرحومهٔ؟ فقال ابی: بل من هذه الأمهٔ المرحومهٔ. فقال: من أیهم أنت من علمائها أم من جهالها؟ فقال له أبی: لست من جهالها، فاضطرب اضطراباً شدیداً ثم قال له: أسألک؟ فقال له أبی: سل، فقال: من أین ادعیتم أن أهل الجنهٔ یطعمون ویشربون ولا یُحدِثون ولا یبولون؟ وما الدلیل فیما تدعونه من شاهد لا یجهل؟ فقال له أبی: دلیل ما ندّعی من شاهد لا یجهل، الجنین فی بطن أمه یطعم ولا یحدث. قال: فاضطرب النصرانی اضطراباً شدیداً، ثم قال: هلاّ زعمت أنک لست من علمائها؟ فقال له أبی: ولا من جهالها، وأصحاب هشام یسمعون ذلک. فقال لأبی: أسألک عن مسألهٔ أخری فقال له أبی: سل. فقال: من أین ادعیتم أن فاکههٔ الجنهٔ أبداً غضهٔ طریهٔ موجودهٔ غیر معدومهٔ عند جمیع أهل الجنهٔ؟ وما الدلیل علیه من شاهد لا یجهل؟ فقال له أبی: دلیل ما ندَّعی أن ترابنا أبداً یکون غضاً طریاً موجوداً غیر معدوم عند جمیع أهل الدنیا لا ینقطع، فاضطرب اضطراباً شدیداً، ثم قال: هلّا زعمت أنک لست من علمائها؟ فقال له أبی: ولا من جهالها. فقال له: أسألک عن مسألهٔ؟ فقال: سل، فقال: أخبرنی عن ساعهٔ لا من ساعات اللیل ولا من ساعات النهار؟ فقال له أبی: هی الساعهٔ التی بین طلوع الفجر إلی طلوع الشمس یهدأ فیها المبتلی، ویرقد فیها الساهر، ویفیق المغمی علیه، جعلها الله فی الدنیا رغبهٔ للراغبین وفی الآخرهٔ للعاملین لها دلیلاً واضحاً وحجهٔ بالغهٔ علی الجاحدین المتکبرین التّارکین لها. قال: فصاح النصرانی صیحهٔ ثم قال: بقیت مسألهٔ واحدهٔ والله لأسألک عن مسألهٔ لاتهدی إلی الجواب عنها أبداً. قال له أبی: سل فإنک حانث فی یمینک. فقال: أخبرنی عن مولودین ولدا فی یوم واحد وماتا فی یوم واحد عمر أحدهما خمسون سنهٔ وعمر الآخر مائهٔ وخمسون سنهٔ فی دار

الدنيا؟ فقال له أبى: ذلك عزيز وعزيرة ولدا فى يوم واحد، فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً، مرّ عزيز على حماره راكباً على قرية بأنطاكية وهى خاوية على عروشها «قَالَ أَنَّى يُحْيِى هذِهِ الله بَعْدَ مَوْتِهَا» (البقرة/۲۵۹) وقد كان اصطفاه وهداه فلما قال ذلك القول غضب الله عليه فأماته الله مائة عام سخطاً عليه بما قال، ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه وعاد إلى داره، وعزيرة أخوه لا يعرفه فاستضافه فأضافه وبعث إليه ولد عزيرة وولد ولده وقد شاخوا وعزير شاب فى سن خمس وعشرين سنة، فلم يزل يذكر أخاه وولده وقد شاخوا وهم يذكرون ما يذكرهم ويقولون: ما أعلمك بأمر قد مضت عيه السنون والشهور، ويقول له عزيرة وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة: ما رأيت شاباً فى سن خمسة وعشرين سنة أعلم بما كان بينى وبين أخى عزير أيام شبابى منك! فمن أهل السماء أنت؟ أم من أهل الأرض؟ فقال: يا عزيرة أنا عزير سخط الله علىّ بقول قلته بعد أن اصطفانى وهدانى فأماتنى مائة سنة ثم بعثنى لتزداد بذلك يقيناً، إن الله على كل شىء قدير، وها هو هذا حمارى وطعامى وشرابى الذى خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان، فعندها أيقنوا فأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة، ثم قبضه الله وأخاه فى يوم واحد. فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقاموا – النصارى – على أرجلهم فقال لهم عالمهم: جئتمونى بأعلم منى واقعدتموه معكم حتى هتكنى وفضحنى وأعلم المسلمين بأن لهم من أحاط بعلومنا وعنده ما ليس عندنا، لا والله لا كلمتكم من رأسى كلمة واحدة، ولا قعدت لكم إن عشت سنة. فتفرقوا وأبى قاعد مكانه وأنا معه، ورفع ذلك الخبر إلى هشام. فلما تفرق الناس نهض أبى وانصرف إلى المنزل الذى كنا فيه، فوافانا رسول هشام بالجائزة وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نجلس، لأن الناس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبى وبين عالم النصارى، فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد من عند هشام إلى عامل مدين على طريقنا إلى المدينة أن ابنَى أبى تراب الساحرين: محمد بن على وجعفر بن محمد الكذابين – بل هو الكذاب لعنه الله – فيما يظهران من الإسلام وردّا علىّ، ولما صرفتهما إلى المدينة مالا ـ إلى القسيسين والرهبان من كفار النصارى وأظهرا لهما دينهما ومرقا من الإسلام إلى الكفر دين النصارى وتقربا إليهم بالنصرانية، فكرهت أن أنكل بهما لقرابتهما، فإذا قرأت كتابى هذا فناد فى الناس: برئت الذمة ممن يشاريهما أو يبايعهما أو يصافحهما أو يسلم عليهما فإنهما قد ارتدا عن الإسلام، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابهما وغلمانهما ومن معهما شر قتلة، قال: فورد البريد إلى مدينة مدين. فلما شارفنا مدينة مدين قدم أبى غلمانه ليرتادوا لنا منزلاً، ويشروا لدوابنا علفاً، ولنا طعاماً، فلما قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب فى وجوهنا وشتمونا وذكروا على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقالوا: لا نزول لكم عندنا ولا شراء ولا بيع يا كفار يا مشركين يا مرتدين يا كذابين يا شر الخلائق أجمعين، فوقف غلماننا على الباب حتى انتهينا إليهم فكلمهم أبى وليَّن لهم القول وقال لهم: اتقوا الله ولا ـ تغلظوا فلسنا كما بلغكم ولا ـ نحن كما تقولون فاسمعونا، فقال لهم: فهبنا كما تقولون افتحوا لنا الباب وشارونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى والمجوس، فقالوا: أنتم شر من اليهود والنصارى والمجوس لأن هؤلاء يؤدون الجزية وأنتم ما تؤدون، فقال لهم أبى: فافتحوا لنا الباب وأنزلونا وخذوا منا الجزية كما تأخذون منهم، فقالوا: لا نفتح ولا كرامة لكم حتى تموتوا على ظهور دوابكم جياعاً نياعاً او تموت دوابكم تحتكم، فوعظهم أبى فازدادوا عتواً ونشوزاً، قال: فثنى أبى رجله عن سرجه ثم قال لى: مكانك يا جعفر لا ـ تبرح، ثم صعد الجبل المطل على مدينة مدين وأهل مدين ينظرون إليه ما يصنع، فلما صار فى أعلاه استقبل بوجهه المدينة وجسده، ثم وضع إصبعيه فى أذنيه ثم نادى بأعلى صوته «وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا ـ تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَاكُم بِخَيْرٍ وإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلا ـ تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» (هود/۸۴–۸۶) نحن والله بقية الله فى أرضه، فأمر الله ريحاً سوداء مظلمة فهبت واحتملت صوت أبى فطرحته فى أسماع الرجال والصبيان والنساء، فما بقى أحد من الرجال والنساء والصبيان إلاّ صعد السطوح، وأبى مشرف عليهم، وصعد فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السن، فنظر إلى أبى على الجبل، فنادى باعلى صوته: اتقوا الله يا أهل مدين فإنه قد وقف الذى وقف فيه شعيب (ع) حين دعا على قومه، فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله العذاب. فإنى أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا، وكُتب

بجميع ذلك إلى هشام فارتحلنا فى اليوم الثانى، فكتب هشام إلى عامل مـدين يأمره بأن يأخـذ الشـيخ فيقتله رحمـهٔ الله عليه وصـلواته، وكتب إلى عامل مدينهٔ الرسول أن يحتال فى سم أبى فى طعام أو شراب، فمضى هشام ولم يتهيأ له فى أبى من ذلك شىء [۵۰] .

وفاته

بعد ثمانيهٔ عشـر عاماً تصدى خلالها للإمامهٔ الإسـلاميهٔ، استجاب لنداء ربه الحق، فلبّاه راضياً مرضياً، وقد قضى من عمره المبارك سبعاً وخمسين ربيعاً. فى غرهٔ رجب من عام ۱۱۴ للهجرهٔ كان أهل بيته يحفّون به وكان السم الذى دس غليه من خلال سرج امتطاه قد انتشر فى جسـده فالتفت إلى نجله ووصـيه الإمام الصادق (ع) وقال: سـمعت على بن الحسـين ناداني من وراء الجدران يا محمد تعال عجل، وقـال: يا بنى هـذا الليلـهٔ التى وعـدتها وقـد كان وضوءه قريباً، قال: أريقوه أريقوه فظن بعضـهم أنه يقول: من الخمس فقال يا بنى أرقه فأرقناه فإذا فيه فأرهٔ. وأوصـى ابنه الإمام جعفر بن محمـد بأن يكفّنه فى ثلاثـهٔ أثواب، أحدها رداء له جدهٔ كان يصـلى فيه يوم الجمعهٔ، وثوب آخر وقميص، وأوصـى أن يشق له القبر شـقاً، واضـاف فإن قيل لكم أن رسول الله لحـد له فقـد صـدقوا. وأوصـى أن يرفع أربع أصـابع، وأن يرش بالمـاء، وأن يوقـف من أمواله قـدراً لكى تنـدبه النوادب بمنى عشـر سـنين أيـام المنى. ولمـا توفى ضـجت المـدينهٔ المنورهٔ. ويروى عن الإمـام الصـادق (ع): أن رجلاً ـ كـان على بعـد أميـال من المدينـهٔ فرأى فى منـامه أنه قيل له: انطلق فصل على أبى جعفر: فإن الملائكـهٔ تغسـله، فجاء الرجل فوجد أبا جعفر قد توفى. وبعد تجهيزه دفن فى البقيع عند قبر والده الإمام زين العابدين وعم أبيه الإمـام الحسن المجتبى [۵۱] . فسـلام الله عليه يوم ولـد ويوم مات مسـموماً ويوم يبعث حيّاً. كلماته المضـيئهٔ: لقـد فاضت بكلماته المضـيئهٔ كتب المعـارف، أولم يكن باقر العلم فى أهل بيت الرسالـهٔ؟ ولكننا نقتبس منها قبسات لعل الله ينور بها قلوبنا ويبصـرنا حقائق أنفسـنا ويهدينا إلى الصـراط القويم. تعال نستمع معاً إلى وصيته الرشيدهٔ التى ألقاها إلى جابر بن يزيد الجعفى: " أوصيك بخمس: إن ظُلمت فلا ـ تظلم، وإن خـانوك فلا تخن، وإن كـذبت فلا تغضب، وإن مـدحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع، وفكر فيما قيل فيك فـإن عرفت من نفسـك مـا قيـل فيـك فسـقوطك من عين الله جـل وعز عنـد غضـبك من الحـق أعظم عليـك مصـيبهٔ ممـا خفت من سقوطـك من أعين النـاس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسـبته من غير أن تتعب بـدنك، واعلم أنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليـك أهـل مصـرك وقـالوا أنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا أنك رجل صالـح لم يسـرك ذلك، ولكن أعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً فى تزهيده، راغباً فى ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر فإنه لايضرك مـا قيـل فيـك، وإن كنت مباينـاً للقرآن فمـا الـذى يغرك من نفسـك، إن المؤمن معنى بمجاهـدهٔ نفسه ليغلبها على هواها، فمرهٔ يقيم أودهـا ويخـالف هواهـا فى محبـهٔ الله، ومرهٔ تصـرعه نفسه فيتبع هواهـا، فينعشه الله فينتعش ويقيـل الله عـثرته فيتـذكر، ويفزع إلى التوبهٔ والمخافهٔ فيزداد بصـيرهٔ ومعرفهٔ لما زيد فيه من الخوف وذلك بأن الله يقول: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فإِذَا هُم مُبْصِرُونَ» (الاعراف/۲۰۱)، يا جابر اسـتكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلّصاً إلى الشكر واستقلل من نفسك كثير الطاعهٔ لله ازراء على النفس وتعرّضاً للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرز فى خالص العمل من عظيم الغفلهٔ بشدهٔ التيقظ، واستجلب شدهٔ التيقظ بصدق الخوف وتَوقّ مجازفهٔ الهوى بدلالهٔ العقل، وقف عند غلبهٔ الهوى باسترشاد العلم، واسـتبق خـالص الأعمال ليوم الجزاء، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعـهٔ، واسـتجلب حلاوهٔ الزهادهٔ بقصـر الأمل، واقطع أسـباب الطمع ببرد اليأس، وسـد سبيل العجب بمعرفـهٔ النفس، وتخلص إلى راحهٔ النفس بصـحهٔ التفويض، وتعرض لرقهٔ القب بكثرهٔ الذكر فى الخلوات، واسـتجلب نور القلب بـدوام الحزن، وتحرز من إبليس بـالخوف الصـادق، وإيـاك والرجاء الكاذب فإنه يوقعك فى الخوف الصادق، وإياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى، وإياك والغفلهٔ ففيها تكون قساوهٔ القلب، وإياك والتوانى فيما لا عذر لك فيه فـإليه يلجـأ النادمون، واسترجع سالف الـذنوب بشـدهٔ النـدم وكثرهٔ الاسـتغفار، وتعرض للرحمـهٔ وعفو الله بخالص الـدعاء والمناجاهٔ فى الظلم، واستجلب زيادهٔ النعم بعظيم الشكر واطلب بقاء العز بإماتهٔ الطمع، وارفع ذلك الطمع بعز اليأس، واستجلب عز اليأس ببعد الهمهٔ،

وتزود من الدنيا بقصر الأمل وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، وإياك والثقة بغير المأمون، واعلم أنه لا علم كطلب السلامة، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا عدل كالإنصاف، ولا جور كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا معصية كاستهانتك بالذنب، ورضاك بالحالة التى أنت عليها، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوة كرد الغضب، ولا ذل كذل الطمع، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة، فإنه ميدان يجرى لأهله بالخسران. وقال (ع): خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها، فإن الله يقول: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله» (الزمر/۱۸)، ويحك يا مغرور ألا تحمد من تعطيه فانياً ويعطيك باقياً، درهم يفنى بعشرة تبقى إلى سبعمائة ضعف مضاعفة، إنما أنت لص من لصوص الذنوب كلما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه فارتكبته كأنّك لست بعين الله أو كأن الله ليس لك بالمرصاد، يا طالب الجنة ما أطول نومك وأكل مطيتك وأوهى همتك فللّه أنت من طالب ومطلوب، ويا هارباً من النار ما أحث مطيتك إليها، وما أكسبك لما يوقعك فيها [۵۲] .

پاورقی

[۱] المصدر: (ص ۳۳۲).

[۲] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۲۱۵).

[۳] المصدر: (ص ۲۱۷).

[۴] المصدر: (ص ۲۲۷).

[۵] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۳۳۲).

[۶] بحار الأنوار: (ج ۲۶، ص ۲۸).

[۷] المصدر: (ص ۲۸).

[۸] المصدر: (ص ۳۷).

[۹] المصدر: (ص ۳۷).]

[۱۰] المصدر: (ص ۱۸).

[۱۱] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۲۲۹).

[۱۲] بحار الأنوار: (ج ۲۶، ص ۲۹).

[۱۳] المصدر: (ص ۳۱) والأواخى جمع أوخية وهى ما يشد به الدابة أى ما يحفظ به العلم.

[۱۴] المصدر: (ص ۶۰).

[۱۵] فى رحاب أئمة أهل البيت فى سيرة الباقر: (ص ۷).

[۱۶] المصدر: (ص ۶).

[۱۷] المصدر.

[۱۸] المصدر.

[۱۹] المصدر.

[۲۰] المصدر: (ص ۹).

[۲۱] المصدر: (ص ۱۰ / ۱۱).

[۲۲] المصدر: (ص ۴۰).

[۲۳] المصدر.

[۲۴] المصدر: (ص ۱۷).

[۲۵] المصدر: (۱۳ – ۱۶).

[۲۶] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۲۴۴).

[۲۷] المصدر: (ص ۲۴۶).

[۲۸] المصدر: (ص ۲۴۷).

[۲۹] المصدر: (ص ۲۴۹).

[۳۰] فی رحاب أئمة أهل البیت سیرة الباقر: (ص ۶).

[۳۱] بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۲۸۹) نقلاً عن حلیة الأولیاء: (ج ۳ ص ۱۸۰).

[۳۲] الظاهر خفضت والله العالم.

[۳۳] المصدر: (ص ۲۹۰).

[۳۴] المصدر: (ص ۲۹۷).

[۳۵] المصدر: (ص ۳۰۱).

[۳۶] المصدر: (ص ۳۰۳).

[۳۷] المصدر: (ص ۳۰۳).

[۳۸] المصدر: (ص ۳۰۴).

[۳۹] المصدر: (ص ۳۰۱).

[۴۰] المصدر: (ص ۳۰۱).

[۴۱] المصدر: (ص ۳۰۲).

[۴۲] المصدر: (ص ۲۸۹).

[۴۳] المصدر: (ص ۳۰۳).

[۴۴] المصدر: (ص ۲۸۷).

[۴۵] المصدر: (ص ۳۰۰).

[۴۶] المصدر: (ص ۲۵۱).

[۴۷] المصدر باختصار: (ص ۳۲۹ – ۳۳۱).

[۴۸] المصدر: (ص ۳۳۵).

[۴۹] المصدر: (ص ۳۳۷).

[۵۰] موسوعة بحار الأنوار: (ص ۳۰۶ – ۳۱۳) نقلاً عن دلائل الإمامة تصنیف محمد بن جریر الطبری الإمامی.

[۵۱] هناک بعض الإختلافات فی تفاصیل وفاته وسنی عمره وما نقلناه استعرناه من جملة روایات تجدها فی بحار الأنوار: (ج ۴۶، ص ۱۱۲ – ۲۲۰).

[۵۲] فی رحاب أهل البیت سیرة الامام الباقر (ع): (ص ۲۱ – ۲۲).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحَار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.


مرکز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹